قراصنة القرن العشرين

محمود سالم

قراصنة القرن العشرين

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

قراصنة القرن العشرين

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٧٩٧ ٢٧٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
قراصنة القرن العشرين!	١١
مهمة ... فوق سفينة شراعية!	١٥
الخطر المجهول!	١٩
الإعصار!	٢٣
بين قبضة القراصنة!	٢٧
فرق جزيرة القراصنة!	٣١
الشياطين داخل الفخ!	٣٧
«أحمد» ... قرصانًا لعشر دقائق!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

قراصنة القرن العشرين!

ساد السكون للحظات داخل قاعة العرض السينمائي في كهف الشياطين ... ثم توالَى دخولُ الشياطين الـ «١٣» إلى القاعة في صمت ... وما إنِ اكتمل عددُهم حتى انطفأَت أنوارُ القاعة الصغيرة، وأُضيئَت الشاشةُ أمامهم وظهرَت عليها خريطةُ الجزء الآسيوي من الوطن العربي ... «العراق» و«الكويت» و«السعودية» و«الإمارات» و«اليمن» ... وأخيرًا ظهر المحيط الهندي الواسع بجُزُرِه العديدة التي راحَت أسماؤها تتوالَى فوق الشاشة ... جُزُر سيشل ... جُزُر المالاديف ... جُزُر كوكوس ... وغيرها.

وتلاقَت نظراتُ «أحمد» و«إلهام» في تساؤل، تُرَى هل ستكون إحدى هذه الجزر هي مكان مغامرتهم القادمة؟! ولكن لماذا لم تستقرَّ إحداها على الشاشة؟! وهل يعني توالي ظهورِها كلِّها إلى أنَّ المغامرة قد تكون في كلِّ هذه الجزر ... أو في مكان مجهول بينها؟

واختفَت الخريطةُ من على الشاشة وحلَّ محلَّها جزءٌ من فيلم سينمائي ... وظهرَت سفينةٌ صغيرة سريعة تشقُّ الماء لا يُنبئ مظهرَها عن شيء ... واقتربَت السفينةُ الصغيرة السريعة من سفينة أخرى كبيرة ... وفجأةً ظهرَت فوهات المدافع من السفينة الصغيرة وانطلقَت نحو السفينة الكبيرة في مُباغتةٍ شديدة فترنَّحَت من ثِقَل الضرباتِ المفاجئة.

وبرز من قلب السفينة الصغيرة العشراتُ من القراصنة الذين اندفعوا كالنمل أو كالجراد عبرَ حبالٍ وسلالمَ مُدَّت بين السفينتَين ... وكان منظرُ القراصنة مخيفًا بملامحهم المفزعة وملابسهم العجيبة وأسلحتهم الرهيبة.

لقد اندفع القراصنةُ نحو السفينة الكبيرة ليستولوا على كلِّ ما فيها بقيادة زعيمهم ... وابتسم «أحمد» في الظلام وتذكَّر ... كان ذلك هو فيلم «ذو اللحية الحمراء»، وكان ذلك

القرصان من أعجب القراصنة الذين ظهروا على مرِّ التاريخ ومشهورٌ عنه القصص التي تتحدَّث عن جرأته النادرة.

وبعد قليل اختفى الفيلم وظهر مكانَه جزءٌ من فيلم «القرصان» الذي أخرجه «رومان بولانسكي» وبعد قليل أُطفئَت شاشةُ العرض وأُضيئَت القاعة ... وتبادل الشياطينُ النظراتِ الصامتةَ المندهشة ... وجاء صوت رقم «صفر» يقول: لعلكم تتعجبون من الفيلمَين السابقَين اللذَين عُرِضَا عليكم ... وفي الحقيقة فإن مئاتِ الأفلام أُنتجَت عن القراصنة، فهو عالم عجيب ذاخر بالقصص والحكايات، وهذه القصص أُضيفَت إليها الكثيرُ من التفاصيل على مرِّ الوقت حتى أصبحَت أشبهَ بالأساطير التي تُروَى عن القراصنة وتُنسَب إليهم أعمالًا خارقة كما حدث مع «ذو اللحية الحمراء»، وكنَّا نظنُّ أن أعمالَ القراصنة قد انتهَت إلى الأبد بظهور السفن الحديثة وعابرات المحيطات، وبعد ظهور الأساطيل الحربية وحاملات الطائرات وتحوُّل البحار والمحيطات إلى بُقعة مكشوفة يسهل مسْحُها في ساعات قليلة بواسطة أسراب الطائرات والسفن والغواصات ... ولكن المدهش أنه بالرغم من كلِّ ذلك فقد عاد القراصنة للظهور ... في أواخر القرن العشرين ... ساد السكونُ عقبَ كلمات رقم «صفر» ... وكان الشياطين قد واجهوا بعضَ القراصنة من قبل، ولكنهم كانوا قراصنةً غيرَ عاديِّين يستخدمون غواصةً في عملياتهم، تُرى ما هو نوع القراصنة الجُدد؟

أجاب رقم «صفر» على خواطر الشياطين قائلًا: إن القراصنة الجدد يستخدمون في عملياتهم سفينةً صغيرة سريعة مجهَّزة بالأسلحة الحديثة من رشاشات وقنابل الأعماق والقنابل اليدوية وعلى سطحها مجموعةٌ من القراصنة الجدد ... وهم خليطٌ من كافة الجنسيات يَصِل عددُهم إلى عشرين فردًا ... ولا يجمعُهم شيءٌ سوى خروجهم على القانون؛ فأغلبُهم مطلوبُ القبض عليهم في بلادهم؛ لأنهم متهمُّون بتُهَمٍ مختلفة تَصِلُ عقوبةُ بعضِها إلى الإعدام؛ ولذلك فهؤلاء المجرمون شديدو القسوة، ولا يغادرون البحر على الإطلاق، وهم يعملون — كما استنتجتم — داخل الجزء الأعلى من المحيط الهندي، ما بين الخليج العربي وخط الاستواء، بعيدًا عن الدول العظمى التي قد تتعقَّبهم بأساطيلها البحرية وطائراتها.

تساءل «أحمد»: وما هي أعمال القرصنة التي قام بها هؤلاء المجرمون حتى الآن؟

قلَّب رقم «صفر» بعضَ الأوراق أمامه، وقال: كان أول ظهور لهؤلاء القراصنة منذ عامين، وقاموا حتى الآن بالعشرات من أعمال السطو والسرقة، وكانت بدايةُ عملِهم متقطعة، ثم أخذَت الشكلَ المنتظم، فبدأَت أعمالُ قرصنتهم تتمُّ بمعدل هجوم كل أسبوع تقريبًا ... وهم يختارون عادةً السفنَ المتوسطة أو الصغيرة لمهاجمتها والتي لا تحمل أكثرَ

من مائة فرد ما بين ركَّاب وبحَّارة، وفي الغالب فهم لا يهاجمون إلا السفن الصغيرة أو اليخوت الكبيرة التي تحمل أشياءَ ثمينة.

وأعاد رقم «صفر» تقليبَ أوراقه ثم أكمل: منذ ستة أشهر سطَت سفينةُ القراصنة على شحنة ذهب تُقدَّر بعشرين مليونًا من الجنيهات، كانت إحدى الشركات تقوم بنقلها ... وبعد أن استولى القراصنةُ على الذهب أغرقوا السفينةَ ببحَّارتها وركَّابها ... وبعد أقل من شهر هاجموا سفينةً أخرى تحمل شحنة من الماس والمجوهرات القادمة من الهند لحساب بعض التجار في الخليج، واستولى القراصنةُ على المجوهرات ثم أغرقوا السفينة بمَن فيها ... وبعدها بقليل اختطفوا ابنَ أحدِ رجال الأعمال الأمريكان والذي كان في رحلة على يخْتِه الخاص مع بعض أصدقائه وتمَّ مبادلةُ ابن المليونير الأمريكي مقابل خمسة ملايين دولار.

وتعدَّدَت العلميات المشابهة من هذا النوع حتى تحوَّل الجزءُ العلوي من المحيط الهندي وأصبح أشبهَ بمصيدة قاتلة لكلِّ السفن واليخوت التي تحاول اجتيازَه، خاصة إذا كانت تحمل شحناتٍ ثمينةً أو أشخاصًا مهمين ... يتم اختطافُهم من هؤلاء القراصنة بعد اعتراضِ السفينة أو اليخت في قلب المحيط ... أما باقي السفن فتمرُّ في أمان.

تساءل «عثمان» في دهشة: وكيف يعرف هؤلاء القراصنة أن بعض السفن تحمل شحناتٍ ثمينةً في حمولتها دون غيرها؟

ابتسم رقم «صفر» ابتسامةً صغيرة، وقال: هذا هو السؤال الذي كنت أنتظر منكم توجيهَه، إن التكنولوجيا الحديثة تفرض نفسَها في كلِّ أمور الحياة، وأغلبُ العصابات المنظَّمة والإجرامية بدأَت في الاستفادة من التقدم التكنولوجي لخدمة عملياتها ... وهؤلاء القراصنة حسب تقدير أجهزة الرصد والتحليل، فإنهم يملكون جهازًا قويًّا لجَمْع المعلومات في أغلب الموانئ والعواصم المالية والتجارية العالمية فيعرفون بأمور الصفقات والشحنات الثمينة التي تَعبُر المحيط الهندي، ومن ثَم يُوجِّهون ضرباتِهم إليها وهم متأكدون من النتيجة ... هذا بالإضافة إلى امتلاكهم لمحطة إرسال واستقبال عالية القوة والكفاءة، هذه المحطة تقوم باستقبال المعلومات من الأقمار الصناعية وعملاء العصابة في كل أنحاء العالم ... ثم تقوم بإرسال المعلومات المطلوبة والمنتقاة إلى سفينة القراصنة بعد أن تُحدِّد لها الهدف المطلوب مهاجمته.

إلهام: وأين توجد هذه المحطة؟

أجاب رقم «صفر»: قد تكون المحطة بمكان ما فوق إحدى هذه الجُزُر، لقد بذلنا مجهودًا من أجل الإجابة على هذا السؤال، ولكننا لم نَصِل إلى نتيجة محددة ... ومهمَّتُكم

هي الوصول إلى تلك المحطة ونَسْفها ... بالإضافة إلى نَسْف سفينة القراصنة والقبض على أفرادها أو التخلُّص منهم ... وصمتَ لحظة ثم أضاف: لقد حاولَت بعضُ الحكومات العربية القريبة من المحيط الهندي القبضَ على هذه السفينة وقراصنتها، ولكنَّ جهودَها لم تؤدِّ إلى نتيجة ... فيبدو أن القراصنة يعرفون مقدمًا بأنه سيتم البحث عنهم بالسفن الحربية والطائرات فيختفون عن الأنظار حتى ييأس مَن يبحث عنهم ... ثم يعاودون الظهور من جديد.

أحمد: يبدو أننا سنتبع خطة مختلفة للبحث عن هؤلاء القراصنة في المحيط.

رقم «صفر»: بالضبط ... إن خطَّتَنا هي ألَّا تبحثوا أنتم عن هؤلاء القراصنة ... بل سندعهم هم يبحثون عنكم!

وساد بعد كلماته صمتٌ رهيب ...

مهمة ... فوق سفينة شراعية!

شرح رقم «صفر» ما يقصده قائلًا: كما أخبرتكم فإن لهؤلاء القراصنة عيونًا في أماكن عديدة، وأية محاولة لتعقُّبِهم أو اصطيادهم ستفشل بسبب الإنذار المبكر الذي يحصلون عليه، ومن هنا كان من الضروري نَصْبُ فخٍّ للقراصنة، ليسعَوا هم خلفكم بدلًا من العكس.

ابتسمَت «إلهام» وقالت: ألهذا السبب تُقرِّر قيامَ رحلة عبور المحيط الهندي بالسفينة الشراعية «ابن ماجد»؟

أجاب رقم «صفر» بسرعة: إنكِ شديدةُ الملاحظة ... والذكاء أيضًا يا «إلهام» ... ولا بد أن الشياطين جميعًا قد لاحظوا الأخبارَ المتتالية التي نشرَتها الجرائد والمجلات ... بل وبعض أجهزة التليفزيون عن رحلة لقَطْع المحيط الهندي وصولًا إلى الدار البيضاء في المغرب عبرَ طريقِ رأس الرجاء الصالح بواسطة سفينة شراعية صغيرة مما يمثِّل مغامرةً كبيرة لأصحاب هذه المحاولة ... ولا بد أن القراصنة التقطوا تلك الأخبارَ واستعدوا لاصطياد السفينة الشراعية التي ستُبحرون أنتم بها.

عثمان: وهل ستحمل هذه السفينةُ الشراعية حمولةً ثمينة تُغري القراصنة بمهاجمتها؟

رقم «صفر»: سوف تكونون أنتم حمولة السفينة الثمينة.

وساد صمتٌ ... مصحوبٌ بقليل من الدهشة ... وفسَّر رقم «صفر» حديثه قائلًا: إن الإعلان المتكرر عن هذه الرحلة في الأسابيع الماضية قام بالتركيز على أصحاب الحمولة، وهم مجموعة من الشبان العرب المغامرين، وإن بعضهم من أبناء الأمراء وكبار المسئولين في الوطن العربي، كما أن بعضهم الآخر من أبناء أصحاب الملايين ... وهكذا كما ترَون فإن

حمولة السفينة الثمينة ستكون هي أنتم ... فلا بد أن القراصنة سيُخطِّطون لاختطافكم لمبادلتكم بعد ذلك بعشرات الملايين من الجنيهات.

وساد الصمتُ ... وتلاقَت أعينُ الشياطين ... فقد كانت فكرةً رائعة ومؤكدة النجاح.

قال رقم «صفر»: إن سفينتكم بها إمكانيات قليلة ... فليس بها أجهزة إرسال واستقبال ظاهرة ... ولا أجهزة قياس سرعة أو حتى بوصلة ... إنها أشبه برحلة بدائية كالتي كان يقوم بها البحارة العرب منذ مئات الأعوام، لا تعتمد إلا على خبرة البحارة ورصدهم للنجوم ... لتحديد مواقعهم واعتمادهم على سرعة الرياح والموج في تسيير السفينة وطعامهم هو السمك الذي يصيدونه ... فكلُّ شيء بهذه الرحلة يبدو بدائيًّا تمامًا ... غير أن هناك مخزنًا للأسلحة يوجد في قاع السفينة ويصعب اكتشافه، وعليكم ألَّا تلجئوا إليه إلا عند الضرورة، وأيضًا فإن السفينة تخلو من أجهزة اللاسلكي لئلا تلتقطَ العصابةُ أيَةَ رسائل تحاولون إرسالها أو استقبالها ... فلديهم محطةٌ لاسلكية ذات قوة التقاط عالية ... ومن هنا فأنتم مضطرون في رحلتكم للانقطاع عن العالم بأي وسيلة اتصال، وتذكَّروا أن مهمَّتَكم ليست القبض على سفينة القراصنة ببحَّاراتها فقط ... بل والوصول إلى محطة الإرسال والاستقبال الخاصة بهم ... وتدميرها.

ومرَّت لحظةٌ من الصمت، وظهر الحماس فوق وجوه الشياطين وهم يتساءلون، تُرَى مَن منهم سيقع عليه الاختيار ليكون ضمنَ أفرادِ الرحلة؟

وجاء صوتُ رقم «صفر» من مكانه المعتم يقول: سوف يكون طاقم الرحلة مكوَّنًا من ستة أفراد، هم «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«مصباح» و«خالد» و«قيس» هل هناك أية أسئلة؟

ولم ينطق أحدُ الشياطين بشيء ... فنهض رقم «صفر» وهو يقول: ستبدأ رحلتُكم غدًا في الصباح الباكر من ميناء «عدن» اليمني المطل على خليج عدن ومنه تبدءون مهمَّتَكم، وفقكم الله!

وغادر رقم «صفر» القاعة، ثم تَبِعه الشياطين في صمت، والمهمة القادمة تشغل عقولهم ... وفي الموعد المحدد وقف الشياطين الستة فوق حاجز سفينتهم الشراعية الصغيرة وهم يلوِّحون للصحفيِّين والمصورين الذين جاءوا لتصويرهم وأخْذ الأحاديث الصحفية منهم.

ومع أول خيوط الشمس أفردَت السفينة «ابن ماجد» أشرعتَها، ثم انطلقَت صوْبَ الخليج كبجعةٍ رشيقة تمتطي ظهرَ الماء.

كانت حركةُ الموج وسرعة الرياح مناسبة، فاتَّجهَت السفينة الشراعية شرقًا صوبَ المحيط ... وظهرَت بعضُ الطيور البحرية التي حلَّقَت فوق أشرعة السفينة وهي تُطلق صيحاتِها، كأنها تؤدِّي مراسم الوداع الأخيرة.

وقالَت «إلهام» ضاحكة: هذه أعجب رحلة بحرية ... في نهاية القرن العشرين ونقود سفينة شراعية في قلب المحيط بلا جهاز لاسلكي على الأقل.

عثمان: لقد جاب البحارة العرب المحيطات والبحار بدون لاسلكي.

إلهام: ألهذا سمَّى رقم «صفر» سفينتَنا «ابن ماجد»؟

أحمد: إنه أشهرُ بحَّار عربي؛ فقد كان عنده علمٌ بأغلب بحار الدنيا ومحيطاتها، خاصة المحيط الهندي، وكان يعرف مسالكَه مثل راحة يده ... بل وقاد سفينة البحَّار البرتغالي «فاسكو دي جاما» من سواحل أفريقيا إلى الهند، وكتَب أكثر من ١٩ كتابًا عن البحر، وأيضًا فهو أولُ مَن قسَّم البوصلة البحرية إلى ٣٢ درجة، وقد كان أعظم بحَّار في العالم في عصره؛ ولذلك سُمي بـ «أسد البحار» بسبب شجاعته وجرأته ... وأرجو أن يكون إطلاقُنا اسمَه على سفينتنا فألًا حسنًا لنا.

تساءل «خالد»: هل تظنون أن القراصنة قد انخدعوا بمظهرنا وبحقيقة هذه الرحلة؟

أحمد: وحتى لو لم ينخدعوا فأظن أنهم سيهاجمون سفينتَنا، خاصة وهي تبدو ظاهريًّا كأنها سفينة شراعية تجوب البحار منذ مائتي أو ثلاثمائة عام ... وفي كلتا الحالتَين سنتعرض لهجومهم.

تنهَّدَت «إلهام» قائلةً: إن رقم «صفر» يحقق دائمًا أحلامًا عزيزة ... فمنذ طفولتي وأنا أتمنَّى لو عبرتُ المحيط بسفينة شراعية وقودها الرياح وبوصلتها النجوم.

أحمد: يبدو أن «إلهام» أصبحَت شاعرة.

عثمان: سوف تُفيق حالًا من أحلامها عندما تبرز سفينةُ القراصنة أمامنا بِصاريها الذي يُرفرف عليه علَمٌ به جمجمةٌ وعظمتان متقاطعتان.

انفجر الجميعُ ضاحكين، وانصرفوا إلى أعمالهم الضرورية داخل السفينة، فأمسك «أحمد» بدفَّةِ السفينة ليُوجِّهَها للخروج من الخليج، على حين أخذ «عثمان» يقفز فوق صاري السفينة الكبير كالبهلوان ليقومَ بفردِ الأشرعة إلى نهايتها، وانهمك «خالد» و«قيس» في صيد السمك بالصنارة من مؤخرة السفينة على حين شرعَت «إلهام» تُدوِّن ملاحظاتِها في دقة كبيرة ... أما «مصباح» فكان في قاع السفينة يطمئن إلى نوعية الأسلحة المخفاة بمهارة.

كانت السفينة تبدو ظاهريًّا، كما أُعلن عنها ووصفوها ... وعندما حان وقتُ الظهر اجتمع الشياطين الستة للغذاء، وكان الطعام سمكًا مشويًّا مما صاده «خالد» و«قيس» وقامَت «إلهام» بتنظيفه وشَيِّه.

وفي المساء أقاموا حفلًا صغيرًا ... وكان لـ «إلهام» صوت عذب، فأخذَت تغنِّي أغنية رقيقة، على حين انهمك «عثمان» في العزف على الجيتار ... وانهمك بقيةُ الشياطين في التصفيق والتشجيع فوق سطح السفينة.

ومن أعلى حلَّقَت طائرةُ هليوكبتر كان يبدو أنها تخصُّ حرسَ السواحل لإحدى الدول العربية الخليجية، فلوَّح الشياطين لها، فأطلق قائدُها أضواءَه الكاشفة نحوهم، ودار حولهم مرتين كأنه يُلقي إليهم بالتحية ثم انطلق مبتعدًا.

ومن بعيد، وفي الظلام ظهرَت البواخر العملاقة القادمة من المحيط الهندي والمتجهة إلى خليج عدن ... وظهرَت أضواؤها على البعد كأنها نجوم صغيرة تسبح فوق الماء ... وطول الليل تبادل الشياطين قيادة السفينة ... وقرابة الفجر كانت «إلهام» هي المسئولة عن قيادة الدفة ... وأحسَّت بالنوم يتسلَّل إلى جفنَيها ... وفجأةً استيقظَت فزعةً على صوت «أحمد» وهو يصرخ فيها: انتبهي يا «إلهام»!

وفتحَت «إلهام» عينَيها فزعةً، فشاهدَت باخرة ضخمة من ناقلات البترول وهي تتجه إلى سفينة الشياطين التي بدَت بجوارها أشبهَ بلعبة أطفال.

وشلَّت «إلهام» في مكانها وهي تشاهد ذلك الجبل الهائل يتجه نحوهم ويوشك أن يصطدمَ بسفينتهم ويمزِّقَها إلى حطام متناثر.

وقفز «أحمد» إلى دفة القيادة وقد أدرك الخطر الرهيب الذي يتعرضون له، وأدار الدفة إلى أقصاها بكل سرعة محاولًا الابتعاد عن ناقلة البترول الرهيبة ولكنَّ تصرفَه جاء متأخرًا ... متأخرًا جدًّا.

الخطر المجهول!

اندفعَت ناقلة البترول الهائلة نحو سفينة الشياطين مثل وحشٍ بحريٍّ خرافي يوشك أن ينقضَّ على سمكة صغيرة ... وبأقصى قوته أدار «أحمد» دفةَ السفينة الشراعية محاولًا الابتعادَ عن مقدمة ناقلة البترول، واستطاع بالفعل تحاشيَها في آخر لحظة، ولكن السفينة الصغيرة اصطدمَت بجنب ناقلة البترول فتحطَّم جزءٌ من جنب السفينة الشراعية وترنَّحَت السفينة بقوة واهتزَّت فوق سطح الماء بعنف، وبكل قوة جاهد «أحمد» ليخرج من منطقة دوامات الناقلة ... ولكن الناقلة العملاقة كانت تُثير حولها اضطرابًا وأمواجًا لا حدَّ لها فاندفع الماء فوق سطح سفينة الشياطين وأوشك أن يُغرقَها واندفع الشياطين في عنفٍ يتشبَّثون بجدار سفينتهم التي أخذ الموج يدفعها ويُلقيها لأعلى وأسفل كأنها حبة رمل في عاصفة هوجاء.

وأخيرًا ابتعدَت ناقلةُ البترول العملاقة بدون أن تحسَّ حتى بسفينة الشياطين وما سبَّبَته لها من خسائر.

واندفع الشياطين الستة نحو جدارِ السفينة المحطَّم الذي كان الماء ينفذ منه إلى داخل سفينتهم، وبسرعة تعاونوا في إصلاح جدار السفينة وترقيعه بألواح الخشب ... حتى تمكَّنوا من سدِّه ... ثم أسرعوا في نزْح الماء من سطح سفينتهم بالدلاء الكبيرة ... ولم ينتهوا من مهمتهم إلا قرابة الظهر.

وجلس الشياطين منهكين القوى لما بذلوه من جهد، والتمعَت الدموعُ في عينَي «إلهام» وقالَت معتذرة: إنني آسفة ... لم أكن أدري أنني سأتسبَّب في هذا الخطر.

أجابها «أحمد» برفق: لا داعي للأسف يا «إلهام» إننا بشرٌ وكلٌّ منَّا معرَّضٌ للخطأ ...

عثمان: للأسف لا توجد لدينا خرائط ملاحية أو خرائط بطرق سير السفن والناقلات الكبيرة حتى نتفاداها ... هذه الرحلة تتطلَّب منَّا الاعتماد على حواسِّنا بنسبة مائة في المائة.

واندفع «خالد» و«قيس» إلى داخل السفينة ... كان الشياطين يخشَون أن يكون البلل قد أصاب أسلحتَهم المخفاة في قلب السفينة ... ولكنها لحسن الحظ كانت بعيدةً عن المياه.

وراقب «أحمد» جدارَ السفينة المحطم ... كان الماء لا يزال ينفذ منه بكميات قليلة مما يتطلَّب جهدًا مستمرًّا في نزْحِه ... وكانت السفينة تميل قليلًا جهةَ اليسار وقد تحطَّم الصاري الكبير وتخلخلَت الدفة من مكانها.

قال «عثمان» بقلق: إن السفينة بحاجة إلى إصلاح ... وللأسف فنحن لا نملك حتى جهاز إرسال لنُخبر رقم «صفر» بذلك.

مصباح: إنني أرى أنه من الأفضل العودة إلى عدن لإصلاح سفينتنا فهي ... لن تصمدَ للإبحار في المحيط.

قال «أحمد» بحسم: لا ... إننا لن نعودَ إلى عدن ... بل سنواصل إبحارنا إلى المحيط ولنعتبر أن ما حدث لنا كان في قلب المحيط حيث لا مكان نلجأ إليه ... إن الشياطين لا يتراجعون أبدًا.

ساد الصمت بعض الوقت ... وتساءل «خالد»: متى سنصل إلى مشارف المحيط الهندي؟

أجابه «أحمد»: إذا استمرت سرعة الرياح بنفس معدلها وظل البحر على استقراره فسنصل خلال ثلاثة أيام ... وسنحاول إصلاح أعطاب السفينة بقدر طاقتنا؛ لأنه بعدها لن يكون لدينا وقت ... إلا للدفاع عن أنفسنا.

ومضَت الأيام الثلاثة بلا حوادث جديدة ... وقام الشياطين بإصلاح صاري السفينة بقدر استطاعتهم ورتْق الشراع الكبير وتثبيته في مكانه ... كما أصلحوا الدفة وتمكَّنوا من ضبطها ... وفي نهاية الأيام الثلاثة ارتفعَت روحُهم المعنوية كثيرًا ... وكان «أحمد» محقًّا في طلبه لزملائه الاعتماد على أنفسهم تمامًا ... وخلال هذه المدة تقاسم الشياطين العمل فوق السفينة وقيادتها حتى لا يتعرضوا لأي أخطار كما حدث مع ناقلة البترول العملاقة ...

واندفعت سفينة الشياطين إلى قلب المحيط ... ومرَّت على البعد أمامهم سفنٌ عديدة، وأطلقت صفارتها تشجيعًا للشياطين، بعد أن تناقلت الأقمار الصناعية في العالم أخبار الرحلة البحرية الشراعية لعبور المحيطَين، الهندي والأطلنطي.

وقال «مصباح»: لقد صِرْنا في قلب المحيط ... تُرَى متى سيبدأ القراصنة هجومهم علينا؟

خالد: أعتقد أنهم سيتركوننا حتى نقترب من مقرِّهم، ثم يبادروننا بالهجوم فهذا أسهل لهم.

قيس: تُرَى هل يقومون الآن بمراقبتنا؟

ابتسم «أحمد» قائلًا: إنهم لا يملكون عيونًا سحرية لذلك ... وحتى لو فعلوا فلن يجدوا غير مجموعة من الشبان العرب الذين غامروا بعبور المحيط في سفينة شراعية صغيرة ...

وكانت «إلهام» منهمكة في تدوين كلِّ ما مرَّ بهم من أحداث، واقترب منها «أحمد» باسمًا وقال لها: هل تفكرين في التقاعد واعتزال العمل ونشْر المذكرات بدلًا منها؟

لم تردَّ «إلهام» وألقى «أحمد» نظرةً نحو دفتر المذكرات ... وكانت آخر عبارة كتبَتها «إلهام» تقول: إن قلبي يشعر بخطر شديد قادم.

وتلاقَت عينَا «إلهام» مع «أحمد» وسألها ببطء ... هل تخشَين من شيء ما؟ ... لقد واجَهْنا مئات المخاطر ولم يهتزَّ قلبنا فلا تخشَي شيئًا.

أجابته «إلهام»: إنني لا أخشى هؤلاء القراصنة مهما كانوا ... إن الخطر الذي أشعر به من نوع آخر.

وقبل أن يسألها «أحمد» عن ذلك الخطر الذي يُقلقها، ظهرَت في الأفق سحابةٌ سوداء تقترب نحوهم بسرعة ... كانت تبدو كأنها مقدِّمةُ إعصار ... وكان يعلم تمامًا أن الأعاصير نادرة الحدوث في ذلك المكان ... ولكنها ليست مستحيلة ... وفي نفس اللحظة اضطرب سطح البحر بقوة، وارتفعَت أمواجه بطريقة عجيبة ... وصفَّرت الرياح بشدة كأنها زفيرُ مارِدٍ مجهول ... وأخذَت سفينة الشياطين تترنَّح بقوة تحت ذلك الخطر الرهيب القادم من بعيد.

وتلاقَت أنظار «إلهام» و«أحمد» وعرَف في تلك اللحظة نوعَ الخطر الذي كانت تخشاه «إلهام».

وانفتحَت أبواب الجحيم في اللحظة التالية ...

الإعصار!

هبَّت الرياح بقوة رهيبة فأطاحَت بالصاري الكبير ومزَّقَت شراعَه وصرخ «أحمد» في «عثمان»: أسرع بطيِّ باقي الأشرعة بسرعة يا «عثمان»!

وقفز «عثمان» بخفة ورشاقة نحو الصاري الثاني للسفينة ليخفض شراعه وفي نفس اللحظة تهاوَى الصاري الكبير، ولولا أن تحرَّك «أحمد» من مكانه لسحقه تحته ... وتحطَّم جدارُ السفينة مرة أخرى بسبب الصاري الثقيل الذي تدحرج وسقط في قلب الماء وومض البرق والرعد في السماء، وتعالَى الموجُ الثائر فترنَّحَت السفينة بشدة ومالَت على جنبها، ولم يستطع «عثمان» حفْظَ توازنه فوق الصاري الثاني فأفلتَت أصابعه وسقط في قلب الماء عند ميل السفينة.

كان الوحيد الذي لاحظ سقوطَ «عثمان» في الماء هو «خالد» وبرغم ترنُّح السفينة الشديد فقد أسرع باختطافِ حبلٍ قريب وألقاه في الماء ليتشبَّثَ به «عثمان» وكاد يلمس سطح السفينة حتى اسودَّت السماء كأنها أصبحت ليلًا ... وبدأَت تُدوِّي حول الشياطين أصواتٌ كأنها انفجاراتٌ تكاد تصمُّ الآذان.

وصاح «قيس»: إنه إعصار ... تشبَّثوا بأماكنكم ...

وما كاد «قيس» ينتهي من عبارته حتى انفتحَت أبواب السماء وسقط مطرٌ غزير كأنه السيل ... واندفعَت الرياح المجنونة وهي تزأر لتحمل أيَّ شيء غير ثابت فوق سطح السفينة لتُلقيَه في البحر الثائر فتبتلعه أمواجُه ... وأخذَت الأمواجُ تضرب السفينة بعنف وقد بدأَت في الدوران البطيء حول نفسها ...

وكان الشياطين يعرفون ما يعنيه ذلك جيدًا ...

وصرخ «خالد»: سوف تبتلعنا الدوامة ...

وكان الموقف يائسًا ... ولم يَعُد للشياطين سيطرة على السفينة التي بدَت وكأن شياطين جهنم تلهو بها ... ولم يكن لدى الشياطين أيةُ وسيلة إنقاذ ... وباتَت المسألةُ مسألةَ وقتٍ فقط قبل أن يسحقَهم الإعصار أو تبتلعهم الدوامة.

وصاح «أحمد» في زملائه: ... تشبَّثوا بأماكنكم جيدًا ... سوف أُحاول إنقاذ السفينة ومهما حدث لي فلا تحاولوا التدخل.

واندفع «أحمد» نحو الصاري الثاني قبل أن ينتبهَ أحدٌ لما يريده ... وتسلَّق «أحمد» الصاري بذراعَين فولاذيَّتَين في الوقت الذي كانت الرياح تهبُّ بسرعة لا تقل عن مائة وخمسين كيلومترًا في الساعة وتكاد تقتلع السفينة من مكانها.

أخذ «أحمد» يصعد الصاري بالرغم من مقاومة الرياح وترنُّح الصاري ... وجذب أحبال الصاري فانفتح الشراع بقوة ولطم «أحمد» في وجهه وامتلأ الشراع بالهواء في لحظة فمالَت السفينة بشدة بسبب قوة الرياح حتى أوشكَت على الغرق.

وصرخ «عثمان»: ماذا تفعل يا «أحمد»؟! ... إنك تعجِّل بنهايتنا ... وسوف تُغرق السفينة بسبب الشراعِ المفتوح ودفْعِ الرياح لنا ...

ولكنَّ صوتَه لم يَصِل إلى أبعد من أُذُنَيه بسبب صراخ العاصفة ... وترنَّح الصاري بقوة مثل عود قش وأوشك أن يتحطم ... وقفز «أحمد» من مكانه إلى سطح السفينة فدفعَته الريح بقوة ليصطدمَ بنهايتها في رأسه.

وأحسَّ «أحمد» بالخبطة قوية وتحسَّس رأسَه فلمس شيئًا لزجًا ... كان رأسُه ينزف، ولكنه تحامل على نفسه وتشبَّث بحاجز السفينة ...

وأخذ ميل السفينة يزداد والشراع المفرود يكاد يتمزق تحت وطأة الرياح ... ولكن الشياطين لاحظوا شيئًا ...

كان دوران السفينة حول نفسها قد بدأ يقلُّ ... وأخذَت تسير ببطء مترنِّح متحدية العاصفة والموج والريح ...

كانت السفينة تسبح إلى مركز العاصفة والدوامة ... وكانت تهتزُّ مثل ريشة في مهبِّ الريح ... وزحف «أحمد» مقتربًا من «إلهام» التي بدأَت قُواها تخور، فأمسكها بذراعه اليمنى، على حين أمسك بحاجز السفينة باليد الأخرى بقوة حديدية ...

وانفجرَت «إلهام» باكيةً وهي تقول: لا فائدة ... سوف نغرق ونموت في هذه العاصفة دون أن يحسَّ أيُّ إنسان بنا ...

همس «أحمد» لها: لا تخشَي شيئًا يا «إلهام» ... سوف ننجو ... ثقي بي.

وفي الفضاء بدأ لون السماء يتحول بطريقة عجيبة ... فقد تلوَّن السحاب بلونٍ أحمرَ دامٍ كأنه الدماء المسفوحة فوق السحاب ... وظهرَت تشكيلات عجيبة من أضواء البرق المنفجر في السماء، وعلى حين بغتةٍ سكَن كلُّ شيء حول الشياطين ... كفَّ البحرُ عن ثورته ... وتوقَّفَت الريح عن الهبوب ... وتهادَت السفينة برفق فوق سطح الماء الساكن كأنها تسبح فوق محيط مرسوم فوق لوحة ... وليس محيطًا حقيقيًّا ...

وقالت «إلهام» ذاهلةً وهي لا تصدِّق ذلك السكون العجيب الذي أحاط بهم فجأة: ماذا حدث؟ ... إن العاصفة والدوامة اختفتَا فجأة ... هل نحن في حلم؟!

أجابها «أحمد»: لا ... لقد صِرْنا في مركز الدوامة والعاصفة.

ومن بعيدٍ وصلَت إلى آذانهم أصواتُ انفجارات الريح والعاصفة والمطر المنهمر كالسيل، وقال «أحمد»: إن العاصفة لا تزال تهبُّ حولنا ... وفي العادة فإنَّ أيَّ إعصارٍ يُغرق أيَّ شيء يحيط به من جوانبه ... ولكن قلبه يكون ساكنًا هادئًا؛ ولهذا خاطرتُ بتوجيه شراع السفينة ليقودَنا إلى مركز الدوامة والإعصار.

وقف الشياطين لحظاتٍ لا يصدِّقون ما يحدث أمامهم ... كانت الظاهرة التي رأوها بأعينهم أعجبَ ظاهرة طبيعية يمكن أن تُصادفَ إنسانًا ... ففي قلب الموت المدمِّر ... كان نجاتهم وبعد أقل من ساعتين هدأ كلُّ شيء ... وعادَت السماء تصفو فوقهم ... وظهرَت الشمس وهي تُوشِك على الغروب ... وبدأ زفير الرياح العادية ... وارتعش سطحُ الماء وعاد إلى طبيعته. وتنهَّد «عثمان» في راحة قائلًا: حمدًا لله ... لقد مرَّت العاصفة والإعصار بسلام.

واندفع الشياطين محاولين إصلاحَ ما دمَّرَته العاصفة ... ولكنها كانت مهمةً فاشلة ... فقد تحطَّمَت أغلبُ أسوارِ وجدران السفينة ... وتحطَّمَت أغلبُ صواريها. وانتزعَت الدفة من مكانها ... وامتلأت السفينة بالماء من ثقوب عديدة في قلبها.

قال «قيس» يائسًا: سوف تغرق السفينة خلال ساعتين بسبب الماء المتسرب إليها ... ولن نتمكن من إنقاذها ...

خالد: وليست لدينا أية أجهزة لإرسال إشارة استغاثة ...

أضاف «عثمان»: ولا توجد سفن قريبة لتمدَّ إلينا يدَ النجاة ... يبدو أننا نجونا من العاصفة لنموت غرقَى مع السفينة ...

وساد السكون القاتل فوق وجوه الشياطين ... كانوا في موقف يائس بالفعل في قلب المحيط بدون أن يدريَ بهم إنسان ... حتى رقم «صفر».

وفجأةً علا صوتُ أزيزٍ حولهم ... وظهرَت على البُعد في الأفق نقطةٌ صغيرة راحَت تقترب ببطء ... كانت طائرة هليوكبتر ...

وقفز «عثمان» بسعادة هاتفًا: لقد جاء الإنقاذ ... لا بد أنها طائرة أرسلها رقم «صفر» لنجدتِنا ... وأخذ الشياطين يُلوِّحون للطائرة العمودية التي اقتربَت منهم، وحلَّقت فوق السفينة الموشكة على الغرق ... وأخذ الشياطين يتصايحون ويُلوِّحون للطائرة ... ولكنها بعد أن دارَت حول السفينة دورتَين، انطلقَت مبتعدةً من نفس الجهة ... وترامق الشياطين ذاهلين، وقال «عثمان»: إنها ليست طائرةً تابعةً لنا وإلا لحاولَت انتشالَنا ومساعدتَنا.

وقال «خالد»: وهي لا تحمل أية إشارة أو علامة تدل على الجهة التي تتبعها ... ولكن القوانين البحرية والجوية تنصُّ على أنه من المفروض أن تقدِّم لنا واجبًا.

تساءل «أحمد» بقلق: تُرَى ماذا تكون هوية هذه الطائرة؟ ... إنني أشك في أنها نفس ... الطائرة التي حلَّقَت فوقنا عند بداية رحلتنا وظنناها تابعةً لقوات حرس الحدود.

اتسعَت عينَا «إلهام» وهي تقول: هل يمكن أن تكون هذه الطائرة تابعةً للقراصنة؟ ... وجاءت الإجابة سريعًا ... عندما ظهرَت سفينةُ القراصنة على البُعد وقد شهرَت مدافعَها نحو سفينة الشياطين.

بين قبضة القراصنة!

اقتربَت سفينةُ القراصنة حتى توقَّفَت على مسافة قليلة أمام سفينة الشياطين، وظهر أفرادُها مسلَّحين بالمدافع الرشاشة والمسدسات والقنابل اليدوية ...

وهمس «أحمد» لزملائه: لا تحاولوا المقاومةَ عند القبض عليكم، لا تنسَوا أننا لسنا أكثر من مجموعة من الشبان المغامرين وأن سفينتنا تتعرض للغرق.

ألقى القراصنة بالسلالم والحبال بين السفينتَين ثم اندفعوا نحو سفينة الشياطين شاهرين أسلحتهم، فقابلهم الشياطين في صمت ... واندفع بعض القراصنة حول الشياطين شاهرين أسلحتهم، على حين اندفع البعضُ الآخر إلى قلب السفينة ليفتشوها، واقترب أحد القراصنة؛ وكان عملاقًا يَصِل طولُه إلى مترين، وله عضلاتٌ فولاذية كأنه بطل العالم في كمال الأجسام وكانت له عينان حادَّتان ووجهٌ قاسٍ وأنفٌ مشوَّه ... وكان واضحًا أنه زعيم القراصنة ... وكان زملاؤه يدعونه «ماكو». ووقف القرصان الغريب يتأمل الشياطين الستة في صمتٍ ويدُه قابضةٌ على مسدسه كأنه يحاول قراءة ما يدور في عقولهم.

وفكر «أحمد» في قلق ... تُرى هل يشك القراصنة في حقيقتهم؟!

هتف «عثمان» في القرصان الغريب: أرجوك يا سيدي ... إن سفينتنا تغرق ويجب أن تساعدونا. اندفعَت قبضةُ القرصان العملاق كأنها مدفعٌ نحو وجه «عثمان» الذي لم يستطع تفاديَها في اللحظة المناسبة، فسقط فوق الأرض من شدة الضربة.

وهتفَت «إلهام» في غضب شديد: أيها المجرم المتوحش.

واندفعت نحو القرصان ...

ولكن «أحمد» أمسك بها بسرعة ... وبعينَيه قال لها: تذكَّري يا «إلهام» أننا لسنا سوى بعض الشبان في رحلة بسفينة شراعية.

هدأت «إلهام» وتلاشَى غضبُها وأدركَت حرجَ موقف الشياطين أمام تلك الأسلحة المصوَّبة نحوهم من كل اتجاه وهم بلا سلاح.

ونهض «عثمان» وهو يتألم من أنفه ... وكانت عينَا الفتى الأسمر دمويَّتَين ... وكان من المؤكد أنه عندما يحين وقتُ الحساب، فإن ذلك القرصان المدعو «ماكو» سيرقص هلعًا تحت ضربات «عثمان».

وتفرَّس «ماكو» في الشياطين بشكٍّ عظيم، وقال لهم: مَن أنتم؟

تصنَّع «أحمد» الغضبَ وصاح به: نحن الذي نسألكم مَن تكونون؟ وكيف تقتحمون سفينتنا بمثل هذه الصورة وتهددوننا بسلاحكم بدلًا من أن تُقدِّموا لنا يدَ المساعدة لإنقاذ سفينتنا الموشكة على الغرق؟!

قال «ماكو»: من المذهل أنكم نجوتم من ذلك الإعصار ... لقد سحق بعضَ السفن على مسافة بعيدة فحوَّلها إلى هشيم في ثوانٍ ... ولكنه لم يمسَّ سفينتكم بأيِّ أذًى فيما عدا بعض الإصابات البسيطة.

واندفع بعض القراصنة إلى «ماكو» هاتفين: لم نجد أيَّ شيء ... لا أسلحة ولا أجهزة إرسال أو استقبال ولا أي شيء مريب.

تنفَّس الشياطين في ارتياح لعدم عثور القراصنة على أسلحتهم المخبأة في قاع السفينة.

وتصنَّع «قيس» الغضب قائلًا: أي أسلحة التي تبحثون عنها داخل سفينتنا ... إننا نقوم برحلة شراعية لعبور المحيط ولَسْنا نستعدُّ لخوض حرب.

ماكو: أليس من العجيب أن يغامر بعضُ الشبان بعبور المحيط بسفينة شراعية لا يوجد بها حتى بوصلة أو جهاز لاسلكي ... لقد أثار الأمر ريبتي منذ سمعتُ عنه أول مرة خاصة وأن أصحاب الرحلة من أبناء الأثرياء والعظماء ... في حين أن الجميعَ يعرفون أن المحيط لم يَعُد مكانًا للهو منذ وقت طويل.

أحمد: إننا لا نعرف ما الذي تتحدث عنه ... ولن نسمح لك ورجالك بتهديدنا بمثل هذه الصورة. فإن حكومتَنا لن تسكت على مثل هذه المعاملة التي تعاملوننا بها ... فإن لم يكن في نيَّتِكم تقديمُ يدِ المساعدة لنا فدعونا وشأننا نحاول إصلاح سفينتنا ... وساد الصمتُ بعد كلمات «أحمد» الغاضبة ...

وظهر على «ماكو» التفكير ثم التفتَ إلى رجاله، وأشار لهم برأسه ... وعلى الفور خفض القراصنة أسلحتهم، ثم اندفعوا نحو مقدمة سفينة الشياطين وربطوها بحبال تمتدُّ من سفينتهم ...

وانصرف القراصنة إلى سفينتهم التي بدأَت في سحْبِ سفينة الشياطين خلفها، ووقف الشياطين يتنفَّسون الصعداء في صمت، ولقد لاحظوا أن عينَ «ماكو» لم تغفل عنهم أبدًا ... وبلغة الأصابع أخذ الشياطين يتناقشون في هدوء ...

سألت «إلهام» زملاءها: هل تظنون أنهم صدَّقونا؟

قيس: هذا «بديهي» وإلا ما قاموا بسحب سفينتنا.

خالد: وأعتقد أنهم يُقيمون في جزيرة قريبة، وإلا ما حاولوا سحْبَ سفينتنا وهي تُوشك على الغرق.

مصباح: معك حقٌّ ... ولكن لماذا قرروا سحْبَ سفينتنا خلفهم ولم يتركوها تغرق فهي بلا فائدة بالنسبة لهم؟

أحمد: لا أحدَ يدري السبب في ذلك ... ولعله حظنا الحسن حتى نتمكن من استخدام سلاحنا المخبَّأ في قاعها في الوقت المناسب.

عثمان: سوف يكون انتقامنا شديدًا ... وأقسم أن أحطم ذراع هذا القرصان المجرم المدعو «ماكو».

ومرَّت لحظةُ صمتٍ ثم تساءلَت «إلهام»: هل تظنون أنهم سيأخذوننا إلى جزيرتهم التي توجد بها محطة الإرسال والاستقبال؟

أجاب «مصباح»: مَن يدري؟ إننا لا نملك غير الانتظار للإجابة على أسئلتنا الحائرة.

قيس: تُرَى هل يعرف رقم «صفر» ما حدث لنا؟

ساد السكون بعد تساؤل «قيس» ... وأدرك الشياطين أنهم معزولون عن العالم بالفعل، وظهرَت على البعد جزيرةٌ صغيرة مظلمة، أخذَت سفينة القراصنة تقترب منها حتى توقَّفَت أمام شاطئها ... وخلفها توقَّفَت سفينةُ الشياطين التي امتلأ جوفُها بالماء وأوشكَت على الغرق ... أشار «ماكو» بيده إلى رجاله فأسرعوا يُحيطون بالشياطين شاهرين أسلحتهم مرة أخرى.

وصاح «خالد» غاضبًا: إننا لا نفهم شيئًا ... مَن أنتم؟ ولماذا أتيتم بنا إلى هذا المكان؟ ولماذا تُهدِّدوننا بأسلحتكم؟!

رفع «ماكو» أصبعه مهدِّدًا في وجه «خالد»، وقال له: إنني لا أحب أن يوجِّهَ لي أحد سؤالًا فإن إجابتي عادة تكون بمسدس ... وأنصحكم بالهدوء والاستسلام إذا أردتم البقاء أحياء ...

أحمد: هل نفهم من ذلك أننا أسرى لديكم؟

ماكو: بالضبط ... وطالما بقيتم هادئين فستظلون أحياء.

أحمد: يبدو أنك تخاطر بأشياء كثيرة ... إننا أبناء شخصيات هامة، وسوف يقلبون المحيط رأسًا على عقب للبحث عنَّا.

قال «ماكو» ساخرًا: لا بد أنك نسيت العاصفة والإعصار أيها الشاب ... إن الجميع سيظنون أنكم غرقتكم بسفينتكم وسينتهي البحث عنكم بلا فائدة.

إلهام: وماذا ستفعلون بعد ذلك؟

ضاقَت عينَا «ماكو» وقال: هذا يتوقف على تأكدنا أولًا من شخصياتكم ... فإذا كنتم بالفعل كما قالت الأخبار والجرائد فلا شك أن ثمن مبادلتكم سيكون عاليًا ... أما إذا كنتم شيئًا آخر فليس أحب لرجالي من أن يخلصوا بطريقتهم الخاصة من أيِّ غبي جاء يسعى خلفهم ... إلى حتفه.

وتقلَّصَت ملامح «ماكو» في مشهد مخيف ونطقَت عيناه بتوحُّش شديد وصاح في رجاله: خذوهم إلى الزنزانة.

وفي استسلام سار الشياطين أمام القراصنة الذين شرعوا يشقُّون قلبَ الجزيرة المظلمة، والنباتات الشائكة تُدمي وجوهَهم وأيديَهم ... على حين كان ضوءُ النجوم البعيدة ... الخافتة يُلقي ظلالًا شاحبة حولهم بدون أن يتبيَّنوا شيئًا محددَ المعالم بسبب الظلام، وكانت الأشجار المتساقطة تحت أرجلهم كأنها أشباحُ موتى.

فرق جزيرة القراصنة!

قاد القراصنةُ الشياطين داخل زنزانة ضيقة جُدرانها من الصُّلب ... مكانها يقع تحت سطح الأرض، ثم أغلقوها عليهم.

ولم يكن يُضيء الزنزانة غير مصباح كهربائي ضئيل ضوءُه شاحب ... وبعد قليل انفتح باب الزنزانة وظهر «ماكو» في مدخلها وخلفه حارسان مسلَّحان وضعَا بعضَ الطعام أمام الشياطين الستة، وقال «ماكو» للشياطين: ستكون هناك وجبة غذائية واحدة لكم ...

سأله «قيس»: هل ستحتفظون بنا طويلًا؟

أجابه «ماكو»: أخبرتُكم من قبل أن هذا سيتوقف على طبيعة المعلومات التي ستصلنا بشأنكم وإن كانت هذه المعلومات ستتأخر قليلًا ...

ورمق «ماكو» «إلهام» بنظرة إعجاب لم تَخْفَ على الشياطين، ومدَّ يدَه نحوها وهو يقول: إنك جميلة جدًّا أيتها الفتاة ... ومكانك قد يكون هنا ... إلى الأبد ...

وقبل أن تلمسَ يدُ «ماكو» «إلهام» انطلقَت ساقُ «إلهام» بضربةٍ قوية إلى «ماكو» فترنَّح إلى الوراء من المفاجأة وهو ينظر إليها ذاهلًا ... وعلى الفور صوَّب الحارسان مدفعَيهما الرشاشَين إلى الشياطين، ولكن «ماكو» أوقفهما قائلًا: لا بأس ... سوف تُضاف هذه الضربة إلى قائمة الحساب فيما بعد.

ونظر إلى «إلهام» بنظرة قاسية، وقال: إنكِ لستِ بالنعومة التي ظننتُها ... وأتمنَّى أن يكون ظنِّي حقيقيًّا بالنسبة لكِ ... فإن رجلًا مثلي بحاجة إلى زوجة تُتقن القتالَ مثلك ...

وخرج «ماكو» والحارسان وأغلقوا الباب خلفهم، وزمجر «عثمان» في غضب قائلًا: كان من المفروض أن نُلقِّن هذا الغبيَّ درسًا قاسيًا.

وقال «قيس» في ضيق: إنني لا أفهم ... لماذا نتحمَّل كلَّ ذلك؟ ... لقد كان في استطاعتنا القيام بمعركة ضد هؤلاء القراصنة والتخلص منهم.

قال «أحمد» في هدوء: تذكَّروا أن هدفنا ليس القراصنة فقط ... بل محطة اللاسلكي أولًا ... إذا تخلَّصنا من هؤلاء القراصنة فلن نجد مَن يقودنا إلى المحطة ... لنقوم بتدميرها؛ لأنها في حالة بقائها ستُمارس عملَها بقراصنة جُدُد ... لقد أتينا لقطع رأس الحية وليس ذيلها فقط ...

إلهام: وهل تظن أن محطة اللاسلكي تقع فوق هذه الجزيرة؟

أحمد: أعتقد ذلك ... فهذه الجزيرة مجهَّزة لتكون بمثابة ميناء لسفينة القراصنة، وأعتقد أنهم يتزوَّدون فيها بالوقود والطعام والذي ربما يحمله إليهم بعضُ الأعوان من مكان ما.

تساءل «مصباح»: ما الذي كان يقصده «ماكو» بقوله إن المعلومات بشأننا سوف تتأخر قليلًا؟

عثمان: لعل رجاله يُلاقون صعوبة في جمْعِها.

ضاقَت عينَا «أحمد» وقال: أظن أن السبب الحقيقي هو تعطُّل محطة اللاسلكي.

إلهام: وكيف استنتجتَ أنها تعطَّلَت؟

ابتسم «أحمد» وقال: هل نسيتم الإعصار والعاصفة؟ ... لا بد أنه مرَّ على هذه الجزيرة أيضًا، فبرغم الظلام في الخارج وعدم استطاعتنا تمييزَ أيِّ شيء ... فقد لاحظتُ أن هناك الكثير من الأشجار مقتلعة من أماكنها ومتساقطة على الأرض، ولا بد أن ذلك كان بفعل الإعصار، ولا بد أنه تسبَّب في إلحاق بعض الدمار بمحطة الإرسال والاستقبال اللاسلكية أيضًا.

قيس: هذا الاستنتاج يبدو معقولًا وهو في صالحنا حتى يتأخر اكتشاف حقيقتنا.

هتف «عثمان» في استنكار: هل سننتظر حتى يكتشفوا حقيقتنا؟!

أحمد: معك حقٌّ يا «عثمان» ... لا بد أن نتحرك سريعًا ... فلنحاول الخروج من هذه الزنزانة واستكشاف المكان ... فإذا تأكدنا من وجود محطة اللاسلكي فعلينا العودة إلى سفينتنا وإخراج القنابل والأسلحة منها، فننسف المحطة ونتخلص من هؤلاء القراصنة، وسوف يُساعدنا الظلام في مهمتنا.

إلهام: ولكن كيف سنخرج من هذه الزنزانة؟!

أحمد: لحسن الحظ فإن هؤلاء القراصنة لم يقوموا بتفتيشنا.

ابتسم «عثمان» ولمَعَت أسنانه البيضاء وأخرج كرتَه الجهنمية من جيبه قائلًا: لحسن الحظ فعلًا.

أما «أحمد» فأخرج من حول ساقه حزامًا جلديًّا صغيرًا كان يوجد به العديد من الأسلاك والمعدات الصغيرة ... وأخذ «أحمد» يعالج قُفْل الباب الحديدي ... وبعد دقائق سمع تكة صغيرة فدفع الباب بيده ... وانفتح الباب.

ترامق الشياطين في صمت ورفعوا أيديَهم بعلامة النصر ... ثم تسلَّلوا من النفق الصغير الذي تقع الزنزانة في قلبه وخرجوا إلى سطح الأرض.

همس «أحمد» للشياطين: كونوا حذرين ... لا نريد أن يكتشفوا هروبنا قبل أن نُكملَ مهمتنا في استكشاف الجزيرة، وحاولوا ألَّا تقعوا في صدام مع أحد القراصنة لأننا بلا سلاح.

همس «قيس» لـ «أحمد»: من رأيي أن نقوم بتقسيم أنفسنا إلى فريقين ... الفريق الأول يذهب إلى السفينة الشراعية ويقوم بإخراج ما بها من أسلحة وقنابل ... والفريق الثاني يقوم باستكشاف الجزيرة وتحديد موقع محطة اللاسلكي في الجزيرة، ثم يتقابل الفريقان في هذه النقطة مرة أخرى قبل انبلاج الفجر.

هزَّ «أحمد» رأسَه موافقًا ... وتم تقسيمُ الشياطين إلى فريقَين ... «قيس» و«خالد» و«مصباح» يذهبون لجلب الأسلحة، و«أحمد» و«عثمان» و«إلهام» يقومون باستكشاف الجزيرة.

سار «أحمد» في المقدمة يتبعه من الخلف «عثمان» و«إلهام» وقد أمسك «عثمان» بالكرة المطاطية «بطة» في يده استعدادًا لأية مخاطرة.

وكانت الجزيرة ساكنةً سكونَ الموت، وكان واضحًا أن القراصنة قد أوَوا إلى فراشهم وأنهم لم يتوقعوا هروب الشياطين أبدًا.

وعلى مسافة ظهر أمام الشياطين صفٌّ طويل من الأشجار المتشابكة كأنها سورٌ ضخم ... يُخفي خلفه شيئًا ما ... وكان صفُّ الأشجار محطَّمًا في بعض جوانبه، فاقترب «أحمد» وألقى نظرة منه فشاهد عددًا من الأبنية ذات الطابق الواحد تُشبه فيلَّا عريضة متسعة.

همس «أحمد» لـ «عثمان» و«إلهام»: لا بد أن هذه هي أماكن إقامة القراصنة.

عثمان: هذا يؤكد أنهم يتخذون من هذه الجزيرة وكرًا لهم ينطلقون منه إلى أهدافهم ... ودار الشياطين الثلاثة حول الأبنية العريضة وتسلَّلوا بداخل إحداها من باب خلفي

... وأشعل «أحمد» بطاريةً صغيرة في حجم الإصبع كانت معه ... وتكشَّفَت لهم بداخل الحجرات تلالٌ هائلة من البضائع والأقمشة الثمينة والحلي والمجوهرات في أكوام كبيرة بداخل الحجرات ...

قالت «إلهام»: يبدو أن هذا المبنى خاصٌّ بالأشياء التي يستولي عليها القراصنة فيُخفونها هنا إلى أن يقوموا بتصريفها وبَيْعها ... إن هذا المكان به أشياء تُساوي عشرات الملايين.

وفجأةً سمع الشياطين الثلاثة أصواتًا قادمة وفي لحظة اختفوا خلف أكداس المسروقات ... ودخل الحجرة اثنان من القراصنة ... وكان أولهما يقول بتأكيد: أؤكد لك أنني شاهدتُ بعض الأشخاص يدخلون إلى هنا.

ضحك الثاني ساخرًا وأشعل ضوءَ الحجرة وأخذ ينظر حوله باحثًا، وقال: وأين هم؟! ... هذه الجزيرة ليست بها أشباح، والغرباء الذين قبضنا عليهم داخل الزنزانة.

قال الأول حائرًا: هذا أمر عجيب! ... أين اختفوا؟

إجابة الثاني: لا بد أن الإعصار أثَّر على أعصابك ... هيَّا بنا ...

وخرج الاثنان من الحجرة بعد إطفاء أنوار الحجرة.

أطلَّ الشياطين برءوسهم وتنهَّدوا في ارتياح ... لقد كان اكتشافُهم كفيلًا بإفساد الأمرِ كلِّه ... وغادر الشياطين الثلاثة المكانَ في حذرٍ أشد وتجاوزوا أسوار الأشجار ... وفجأة تعثَّرَت قدمُ «إلهام» في حجر صغير وسقطَت على الأرض، وأسرع «عثمان» و«أحمد» نحوها، وأمسكَت «إلهام» بساقها متألمة وهي تَكْبِت ألَمها.

وانحنى «أحمد» وأمسك بالشيء الذي تعثَّرَت فيه «إلهام» ... لم يكن حجرًا ... بل جمجمة بشرية ... قال «عثمان» ذاهلًا: من أين أتت هذه الجماجم؟! ... هل هي لضحايا هؤلاء القراصنة الذين جلبوهم إلى هنا وقتلوهم ... ثم دفنوهم في الجزيرة؟

تأمل «أحمد» إحدى الجماجم وقال: لا أظن ذلك ... إن هذه الجماجم تبدو قديمةً وعمرُها يَصِلُ إلى ثلاثمائة عام أو أكثر وربما تكون لبعض الضحايا بالفعل ... ولكنهم ضحايا قراصنة آخرين كانوا يستغلون هذه الجزيرة كوَكْرٍ لهم منذ مئات الأعوام، فيأتون بضحاياهم تعساء الحظ ويقتلونهم هنا بطريقة دموية.

ظهر الحزن على وجه «إلهام» ونهضَت في صمتٍ، وهي تتحامل على ساقها المصابة، وقالت: سوف تكون هذه هي المرة الأخيرة التي يعيش فيها قراصنة فوق هذه الجزيرة.

سار الشياطين الثلاثة في صمتٍ جهة الغرب ... وأشار «عثمان» بيده قائلًا: انظرَا ... وظهر على البُعد مبنًى صغيرٌ من طابقَين، كان يعلوه شيءٌ يُشبه طبقًا دائريًّا كبيرًا، وكان واضحًا برغم الظلام أن هناك بعضَ الأشخاص يُحيطون بالمكان ويعكفون على إصلاح الطبق الكبير ...

هتفَت «إلهام» في انتصار: هذه هي محطة اللاسلكي ... هذا المبنى يؤكد ذلك خاصة ذلك الطبق الضخم فهو بمثابة جهاز استقبال للأقمار الصناعية.

عثمان: لقد كان «أحمد» على حقٍّ في تصوُّرِه بإصابة المحطة بعطب ... فهؤلاء الأشخاص يقومون بإصلاحها فيما يبدو.

واقترب الشياطين أكثر فسمعوا حوارًا دائرًا بين بعض القراصنة ومَن يقومون بإصلاح الطبق الكبير، وكان واضحًا أنهم فنيُّون في إصلاح مثل هذه الأشياء.

كان أحد القراصنة يسأل: هل سيستغرق الإصلاحُ وقتًا طويلًا؟

فردَّ أحدُ الفنيِّين: ... ليس أقل من يومين ...

– هذا كثيرًا جدًّا ... إننا لا نستطيع أن ننقطع عن العالم هذه المدة.

وأجابه أحد الفنيِّين: يكفي أننا نعمل برغم الظلام.

– قال أحد القراصنة مستنكرًا: وهل تُريدنا أن نُشعلَ الضوء لك فنلفت انتباهَ السفن المارة بعيدًا؟! لا تنسَ أنه من المفروض أن هذه الجزيرة نائية لا يسكنها أحد ... وإلا ما كنَّا دفعنا لكم مليون دولار لإصلاح هذا العطب البسيط مقابل إغلاق أفواهكم.

ترامق الفنيون في صمت مع القراصنة، ثم انصرفوا لإكمال عملهم.

همس «عثمان» إلى «أحمد»: لقد تأكدنا من وجود محطة الإرسال والاستقبال فوق الجزيرة ... علينا بالعودة ومقابلة بقية الشياطين.

هزَّ «أحمد» و«إلهام» رأسَيهما بالموافقة، وما كادَا يبتعدان قليلًا حتى برزَ إليهما شبحٌ من الظلام شاهرًا مدفعَه الرشاش صائحًا: ... قفوا في الحال وإلا أطلقتُ الرصاص ... وعلى الفور طارَت «بطة» في تصويبة محكمة لتصطدمَ بجبهة الشبح كالرصاصة فترنَّح إلى الخلف وسقط فاقدَ الوعي.

وأسرع الشياطين نحو القرصان وجرُّوه بسرعة إلى منطقة كثيفة الأشجار على حين ظهر زملاؤه شاهرين أسلحتهم، وقد أتَت بهم صيحةُ زميلهم ... ووقفوا قليلًا ينظرون حولهم في دهشة بدون أن يعثروا على أثر له ...

وقال أحدهم: إن هذه الليلة حافلة بالأشياء الغريبة.

قال آخر: لعل أحدهم يمزح معنا ...

وانصرف القراصنة ... وفي الحال استولى «أحمد» على المدفع الرشاش للقرصان الفاقد الوعي، وأسرع مع «إلهام» و«عثمان» لملاقاة بقية الشياطين.

وفي غمرة استعجال الشياطين الثلاثة لم يلاحظوا العينَين الجهنميَّتَين اللتين كانتَا تراقبهما، وارتسمَت فوق شفتَي «ماكو» ابتسامةٌ رهيبة مليئة بالشر ... فقد كان استنتاجُه صحيحًا.

الشياطين داخل الفخ!

كان وصول «قيس» و«خالد» و«مصباح» إلى الشاطئ سهلًا ... فلم يُصادفهم واحد من القراصنة ... وظهرَت سفينةُ القراصنة أمام شاطئ الجزيرة، وفوقها بعضُ الحراس الذين كانوا منهمكين في التهام الطعام الوفير أمامهم ...

أما السفينة الشراعية فقد كانت غائصةً في الماء بالقرب من شواطئ الجزيرة بلا حراسة ...

همس «خالد» لزميلَيه: سوف نسبح إلى سفينتنا ... وأرجو ألَّا تكون المياه قد وصلَت إلى مكان الأسلحة هذه المرة.

قال «قيس» بقلق: وحتى لو لم تصل المياه إليها وهي بداخل السفينة، فسوف يُغرقها الماء إذا حاولنا إخراجها من السفينة.

ظهر القلق على وجوه الشياطين الثلاثة، وقال «مصباح»: وما العمل الآن؟ ... إننا بحاجة إلى القنابل والرشاشات وإلا فشلَت مهمتُنا وتعرَّضنا للخطر.

قال «خالد» في حماس: فلنحاول إخراجها ... وأرجو أن يكون الحظُّ حليفَنا فلا يصيبها البلل ... وألقى الشياطين الثلاثة بأنفسهم في الماء، وسبحوا بخفة حتى وصلوا إلى السفينة بعد قليل ... وتسلَّقوا سطحها كالأشباح بدون أن يلاحظَهم حراسُ سفينة القراصنة ... وكان الماء قد بلغ سطح السفينة الشراعية، وكان الشياطين الثلاثة مضطرين للغوص داخل السفينة الغارقة في الماء لإخراج أسلحتهم وقنابلهم.

وأُصيب الشياطين الثلاثة بدهشة عجيبة ... فقد كانت الألواح سليمة عندما وصلوا إلى الجزيرة فمَن حطَّمها ... وكيف؟!

ولم يكن هناك وقتٌ للتساؤل، وأسرع الشياطين الثلاثة ليبرزوا برءوسهم من قلب الماء طلبًا للهواء على سطح السفينة ... وهناك كان عشرة قراصنة بانتظارهم وأسلحتهم

مصوَّبة إلى الشياطين، وهنا تأكَّد «قيس» و«خالد» و«مصباح» مما حدث ... لقد اكتشف «ماكو» ورجاله مكانَ أسلحتهم بداخل السفينة فأغرقوها.

قال «ماكو» ساخرًا: هل ظننتم أنكم خدعتموني؟ ... لقد أتيتُ بسفينتكم إلى هنا ليتمكَّن رجالي من البحث عن أسلحتكم على مَهَلٍ، وقد عثرنا عليها فتأكَّدتُ من شكوكي.

زمجر أحدُ القراصنة قائلًا: هل أُطلق عليهم الرصاص يا «ماكو»؟

هتف «ماكو» في غضب: أيها الغبي ... كيف نُطلق الرصاص على ثروة هبطَت إلينا من السماء ... إن هناك العديد من المنظمات الإجرامية على استعداد لأن تدفع عشرات الملايين ثمنًا لهؤلاء الشياطين.

وصاح في رجاله: اقبضوا عليهم ...

ولكن الشياطين الثلاثة لم ينتظروا هذه المرة ... وبدءوهم بالهجوم.

ففي لحظة واحدة تفاهموا ... وقفزوا قفزة واحدة باتجاه أقرب المهاجمين إليهم ... واندفعت أقدام «قيس» و«مصباح» كالصخر نحو مهاجميهم الذين ترنَّحوا إلى الخلف، وعلى الفور التقط الشياطين الثلاثة مدافع الحراس وصوَّبوها نحو بقية القراصنة.

وألقى «ماكو» بنفسه إلى الوراء ... وتساقط بعضُ رجاله برصاص الشياطين الذي دوَّى في صمت الليل ليشقَّ سكونه.

وتراجع بقية القراصنة إلى الوراء واحتموا بجدران السفينة وهم يُطلقون رصاصهم في كل اتجاه نحو الشياطين وهم يدورون في شكل كماشة لمحاصرتهم ... بدون أن يكونَ حولَ الشياطين أيُّ شيء يحتمون به وهم فوق سطح سفينتهم الغارقة.

هتف «قيس» في زميلَيه: إنهم يحاورونا ...

خالد: ليس هناك غيرُ حلٍّ واحد.

وفي لحظة واحدة قفز الشياطين الثلاثة من فوق السفينة إلى قلب الماء ... وانطلقَت خلفهم مئاتُ الطلقات في الظلام ... ولكن الشياطين اختفَوا داخل الماء كأنهم أسماك ماهرة.

وصاح «ماكو» في غضب جنوني: لا تدعوهم يهربون ... احصدوهم برشاشاتكم ...

وعلى الفور حاصر رجال «ماكو» الشاطئ شاهرين مدافعَهم الرشاشة لقَتْل أيٍّ من الشياطين الثلاثة يحاول الخروجَ من الماء.

ومن بعيد بدأَت تباشيرُ الفجر في الظهور ... وكان هذا يعني انكشافَ مكان الشياطين داخل الماء سريعًا ... وباتَت المسألةُ مسألةَ وقت.

وصاح «ماكو» في بقية رجاله: اذهبوا إلى الآخرين واحصدوهم برشاشاتكم ... لا أريد أحدًا منهم حيًّا.

وأضاف في صوت رهيب: سوف تكون هذه الجزيرة مقبرة لهم.

وعلى الفور اندفع رجاله لتنفيذ الأمر الصادر إليهم ... وقد باتَت مهمة الشياطين في الاختفاء مستحيلة ... بعد أن أضاء الفجرُ الجزيرةَ بنوره ... وكشف كلَّ تفاصيلها.

«أحمد» ... قرصانًا لعشر دقائق!

أحس «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» بطلقات الرصاص البعيدة القادمة من الشاطئ ... وعرفوا أن المجموعة الأولى قد انكشف أمرُها، وأنها دخلَت في صراع مع القراصنة ... وأن أمرهم قد انكشف.

صاح «أحمد» في «إلهام» و«عثمان»: فلنُسرع بنجدة بقية الشياطين ... سأتقدمكما لأحميَكما بمدفعي الرشاش.

واندفع «أحمد» شاهرًا مدفعه الرشاش ... ولكن وقبل أن ينطلق بعيدًا انهال الرصاص عليه من كل جانب فألقى بنفسه على الأرض مع «إلهام» و«عثمان».

كان الرصاص ينهمر فوق رءوسهم كالمطر ... ورفع «أحمد» رأسَه وشاهد مجموعة من القراصنة يحتمون خلف بعض الأشجار أمامهم على شكل نصف دائرة وهم يُطلقون مدافعهم الرشاشة.

وصوَّب «أحمد» مدفعه وأطلقه نحو أحد القراصنة فأسقطه قتيلًا ... ثم أسقط واحدًا آخر ... فثالثًا ولكن عدد القراصنة ظل يتزايد حول الشياطين.

قالت «إلهام» في قلق: إنهم يحاصروننا ونحن في موقف صعب بلا سلاح ...

أحمد: يجب أن نصنع ثغرة وسط هؤلاء المجرمين ننفذ بها إلى الشاطئ، سوف نكون صيدًا سهلًا طالما بقينا فوق الجزيرة.

وضغط على الزناد بكل قوته فانطلقت الرصاصات تحمل الموت لكل من تُصادفه في طريقها ... فتراجع القراصنة للوراء.

وفجأة توقَّف المدفع الرشاش في يد «أحمد» ... لقد نفد الرصاصُ منه ... وأدرك القراصنة ما حدث فنزلوا كأنهم الصاعقة على «أحمد» وزملائه ... لكن «أحمد» وبضربة

واحدة أسقط ثلاثة من القراصنة أمام الشياطين ... وقبل أن يُفيق الباقون انتزع الشياطين سلاح القراصنة وأطلقوا الرصاص نحو مهاجميهم.

سقط عددٌ من القراصنة قتلى ... وتراجع الباقون للوراء في ذُعر ... وأخذ الشياطين يتقدمون للأمام تحت حماية أسلحتهم ... واندفعوا باتجاه الشاطئ لنجدة بقية زملائهم المحاصرين في الماء.

فجأةً صرخَت «إلهام»، والتفتَ «أحمد» و«عثمان» نحوها في اللحظة التي شاهدوها فيها وهي ترتفع في الهواء من ساقها بحبل مربوط بأعلى شجرة قريبة ... لقد وقعَت في فخٍّ بدون أن تدري.

كاد «أحمد» يندفع لإنقاذها ولكن «عثمان» أمسكه من يده قائلًا: إذا حاولتَ إنقاذها فسوف تُصبح مكشوفًا لرصاصات القراصنة.

وصاح «ماكو»: استسلموا أيها الملاعين وإلا قتلتُ الفتاة.

ولمَعَت عينَا «أحمد» بغضب جامح وهو يشاهد «إلهام» معلَّقةً من قدمها في الهواء بارتفاع كبير بدون أن يستطيعَ مدَّ يدِ المساعدة إليها.

كان الموت يحاصر الشياطين الثلاثة؛ فإذا حاولت «إلهام» رفْعَ نفسها والإمساك بالحبل الذي يقيِّد قدمها فلا بد أن القراصنة سيُسرعون بإطلاق الرصاص عليها قبل أن تتمكن من ذلك ... وإذا حاول «أحمد» و«عثمان» إنقاذ «إلهام» كان نصيبهم الموت أيضًا ... كما كانت محاولة إطلاق الرصاص على الحبل الذي يمسك بقدم «إلهام» لقطعه قد يعني موتَها عندما تسقط من ذلك الارتفاع الهائل ... ولمَعَت حباتٌ من العرق على جبهة «عثمان» وهمس لـ «أحمد»: إننا في مأزق شديد ... ما العمل الآن؟

قال «أحمد»: سوف أحاول تشتيتَ انتباه هؤلاء المجرمين ... وسأحاول نسْف محطة الإرسال والاستقبال وعليك باستغلال المفاجأة لإنقاذ «إلهام».

هتف «عثمان» بدهشة: وكيف ستنسف المحطة بلا قنابل؟!

أجابه «أحمد»: سوف أكون قرصانًا لعشر دقائق.

واختفى بسرعة بدون أن يشرح لـ «عثمان» شيئًا ... كان الشاطئ قريبًا وزحف «أحمد» بسرعة على الأرض حتى وصل إلى الشاطئ المكشوف ... وكان هناك عددٌ من القراصنة يقومون بحراسة الشاطئ استعدادًا للقضاء على أيٍّ واحد من الشياطين المختفين بداخل الماء يحاول الظهور.

واندفع «أحمد» نحو سفينة القراصنة القريبة من الشاطئ وهو يُطلق الرصاص كالسيل لحماية نفسه ... وفوجئ الحراس على الشاطئ بهجوم «أحمد» المباغت وسقط عددٌ منهم على حين ألقى الباقون بأنفسهم على الأرض.

وانتهز «أحمد» الفرصة ... وقفز إلى الماء وغاص بكل قوته باتجاه سفينة القراصنة وانهال الرصاص عليه فوق سطح الماء بدون أن يصيبَه.

وأخيرًا وصل «أحمد» إلى قاع سفينة القراصنة ... ورفع رأسه بحذر فوق سطح الماء فلم يشاهد أحدًا ... وبخفة تسلَّق جدار السفينة من الخلف وقفز إلى سطحها، وكان هناك ثلاثةٌ من القراصنة المسلحين واقفين وظهرهم إلى «أحمد» وبخفَّة انقضَّ «أحمد» على أولهم وأطبق عليه من الخلف بذراعه ... والتفتَ الآخران بسرعة وهما يُطلقان الرصاص على «أحمد» ولكن رصاصاتهم أصابَت زميلهم، وقفز «أحمد» من خلف القرصان المصاب وبضربة مزدوجة أطاح بالقرصانَين الآخرَين إلى الوراء وأسقطهما من سطح السفينة ... واندفع «أحمد» إلى قلب السفينة واتجه في حذرٍ إلى حجرة المدافع ... ولم يكن هناك أحد بداخلها ... وشاهد «أحمد» أمامه عددًا من المدافع القديمة تبرز ماسورة كل منها من خلال طاقة واسعة خارج السفينة.

وكان هناك عددٌ كبير من الدانات والقنابل التي يستعملها القراصنة في مدافعهم ... وأدار «أحمد» ذراعَ أحد المدافع وضبط مقدمة المدفع نحو الهدف البعيد — محطة الإرسال والاستقبال فوق الجزيرة — ووضع إحدى القنابل داخل فوهة المدفع الخلفية ... وقبل أن يُشعل فتيلَها أحسَّ بحركة من الخلف فالتفت بسرعة متأهبًا للدفاع عن نفسه.

وكانت المفاجأة عندما شاهد بقية الشياطين «قيس» و«خالد» و«مصباح» كانوا قد استطاعوا التسلل إلى السفينة من الماء ... وكان يبدو عليهم أنهم جاءوا لتنفيذ ما يقوم به «أحمد» بالضبط ...

وابتسم «أحمد» عندما اطمأن على سلامة الشياطين الثلاثة ... وأشعل الفتيل ... وارتج المدفع عندما انطلقت القنبلة ... وعلى البعد أصابَت القذيفةُ هدفَها بالضبط وانفجرَت محطة الإرسال ... وعندما أطلق «أحمد» القنبلة الثانية لم يَعُد للمحطة وجود فوق سطح الجزيرة وتحوَّلَت إلى حطام مشتعل تناثر في كل اتجاه ...

وأشعل «قيس» النار في بعض الأخشاب بداخل الغرفة وقال لرفاقه ... سوف تصل إلى القنابل والدانات فتنفجر السفينة خلال خمس دقائق ... هيا بنا ...

وأسرع الشياطين الثلاثة يقفزون إلى الماء ويسبحون إلى الشاطئ ... وكان الحظ حليف «عثمان» و«إلهام» أيضًا ... فعندما أطلق «أحمد» طلقته الأولى نحو محطة الإرسال

والاستقبال فوجئ القراصنة بما حدث ... واندفعوا كالمجانين في كل اتجاهه ... وانتهز «عثمان» الفرصة وتسلَّق الشجرة العالية وجذب الحبل الذي يربط «إلهام» وفي ثوانٍ كان الاثنان يهبطان من على الشجرة إلى الأرض ... وهناك كان «ماكو» في انتظارهم وبيده قنبلة انتزع فتيلها ... ثم ألقاها نحو «عثمان» و«إلهام».

ولم يكن الاثنان بحاجة إلى تحذير، وقفزَا في وقت واحد باتجاهَين مختلفَين، وانفجرَت القنبلة اليدوية في اللحظة التالية.

وقفز الاثنان واقفَين ... ولكن ... لم يكن لـ «ماكو» أيُّ أثر حولهما ... واندفع بقية الشياطين نحو «إلهام» و«عثمان» وقد تسلَّحوا بمدافع القراصنة المصابين ... ورفع الشياطين الستة أصابعَهم بعلامة النصر ... وفي نفس اللحظة دوَّى انفجار هائل ... وتحوَّلَت سفينة القراصنة إلى شظايا مشتعلة أغرقت سطح المحيط باللهب.

وهتف «قيس» تبقَّت مهمة يسيرة، وهي تنظيف الجزيرة من بقية القراصنة ... واندفع الشياطين الستة في كل اتجاه وهم يُطلقون رصاصهم ... وفي دقائق أنجزوا مهمتهم وسقط القراصنة جميعًا ما بين قتلى ومصابين.

وقال «أحمد»: لقد نال المجرمون عقابهم.

وتساءلَت «إلهام» في قلق: ولكن أين «ماكو»؟ لقد اختفى فهو ليس بين المصابين أو القتلى وفي نفس اللحظة تعالَى أزيزٌ بعيد أخذ يقترب من الجزيرة ... كانت الطائرة الهليوكبتر التي حلَّقَت فوق الشياطين مرتين من قبل ... وعندما أطلقَت الهليوكبتر صاروخًا باتجاههم أدرك الشياطين أن الطائرة تخصُّ القراصنة ... قفز الشياطين في حفرة قريبة، وانفجر الصاروخ بدون أن يصيبَهم ... وأطلقت الطائرة صاروخًا آخر وهي تقترب من الشاطئ ... وفي نفس اللحظة ظهر «ماكو» ليتعلق بحبل ألقَته الطائرة إليه.

وهتف «خالد»: هذا المجرم ... لا بد أنه استدعى الطائرة بجهاز لاسلكي صغير معه ليهرب بها من الجزيرة ... ولا بد أنه كان يُخفيه فوق جزيرة أخرى احتياطيًّا.

عثمان: لا أظن أنه سيبتعد كثيرًا ... ثم إن له دَينًا في عُنقي ويجب أن أردَّه إليه ... وصوَّب مدفعه الرشاش نحو الطائرة وأطلقه في اللحظة التي كانت تستعد فيها للهرب بعيدًا.

وانفجرت الطائرة في الهواء ... وتناثرَت محترقة بجوار بقايا سفينة القراصنة، وخفض «عثمان» سلاحه وعاد ووجهه يكتسي بتعبير هادئ.

وقال «أحمد»: لقد تحوَّلَت هذه الجزيرة إلى مقبرة. وكما ضمَّت ضحايا القراصنة في الماضي فقد ضمَّت آخر قراصنة القرن العشرين.

واقترب الشياطين من الشاطئ ...

وقالت «إلهام» بأسف وهي تشاهد السفينة الشراعية الغارقة أمام الشاطئ: ... من المؤسف أن سفينتنا الشراعية قد غرقت!

ضحك «عثمان» قائلًا: هل كنتِ تنوين إكمالَ عبور المحيط بها؟!

إلهام: إننا كنا نستطيع العودة بها على الأقل ... نحن الآن في موقف دقيق ... فليس لدينا وسيلةٌ للاتصال برقم «صفر» لإعلامه بمكاننا ...

ضحك «أحمد» وقال: مَن قال إن رقم «صفر» كان غافلًا عن مكاننا ... إننا ومنذ غادرنا ميناء «عدن» وعين رقم «صفر» لم تَغِب عنا أبدًا ... فقد اكتشفتُ وجودَ جهاز حديث جدًّا في مؤخرة السفينة يعطي إشارات مغناطيسية ... يمكن التقاطها من أي مكان ... وهكذا فإن رقم «صفر» يعرف مكاننا هنا ... ولكنه لم يشأِ التدخل حتى لا يُفسدَ علينا متعة العمل.

وانفجر الشياطين ضاحكين ... في اللحظة التي ظهر فيها في الأفق طائرة هليوكبتر ... وكان شعار الشياطين واضحًا فوق جسمها المعدني.

هنـــداوي